بدايات عمياء

**الفارس والتاج (الجزء الأول)**

**حامل الأسطورة**

-«منذ ما يقرب خمسمائة عام مضت ، عاش فارس شجاع ، لا مثيل لبسالته وإقدامه. كان هذا الفارس قد سمع قصة معينة ، أسطورة -إذا شئت- تتحدث عن ترِكة القدماء ، كان إيمانه بتلك القصة هو ما دفعه لأن يبحث عن تلك التركة ، ويواجه أخطاراً لم يعرف البشر مثيلها.

ذلك الفارس هو جلالة الملك "دانيال بورجيا الثاني" ، الذي كان يبحث عما يعرف بـ"قطع الحقيقة". ثلاثة عشر قطعة يقال أنها خبئت بأمر من نبي الآلهة "جيكال" ، في أماكن لا يستطيع الفانون الوصول إليها.

لكن الفارس آمن بأنه أعلى شأناً من البشر الفانين ، بأن القطع خبئت ليجدها هو ، حسب النبوءات التي تركها النبي جيكال ؛ والتي كان يعرفها أهل ذلك العصر ، فإن رجلاً فيما بعد سيأخذ القطع ويعرف ماذا يفعل بها تحديداً.

بدأ -دانيال الثاني- رحلته في البحث عن تلك القطع في مقتبل عمره حين كان أميراً صغيراً، حيث بدأ بجمع أشلاء قصة قطع الحقيقة من الورثة القلائل للأسطورة ، الذين يذكرون تفاصيلها الحقيقية ، ولكن عاماً واحداً لم ينقض ، إلا وقد وجد فارسنا أول تلك القطع ، مثبتاً أنما تناقله حملة الأسطورة هو حقيقة ليس إلا ، ومبرهناً لنفسه أن الطريق التي سلكها ليست ذات نهاية مسدودة.

ثم لم يفتأ إلا وقد بدأ بالعثور عليها قطعة تلو القطعة ، وعندما تسلم مُلك "ويتفورد" ببركة الآلهة ، تخلص جلالته من تاج المملكة القديم وأمر صفوة صاغة الذهب في المملكة بأن يصنعوا له تاجاً جديداً ، تاجاً يحمل منصة واسعة مهمتها أن تحمل القطع التي وجدها ، وتلك التي ينوي أن يجدها.

تاج كبير من الذهب الخالص ، تعلوه منصة بشكل نصف دائرة سميكة ، وختم عليها بخاتم خادمه الساحر قطعتين اثنتين من قطع الحقيقة.

ثم لم تلبث القطعتان أن صارتا ثلاثاً ، ثم أضحت الثلاث أربعاً وهكذا.

ولكن ، وببالغ الأسف ، قبيل أن يحضر ثامن تلك القطع ، لقي جلالته حتفه ، منهياً بذلك سباقاً مع نبوءات الأنبياء ، سباقاً لم يكن مقدراً له أن يكون هو الفائز فيه رغم كل شيء.

وأصبحت قصته أسطورة ، ثم استحالت الأسطورة خرافة وأغنية تتغنى بها الأمهات حين يضعن أطفالهن للنوم ؛ تحت اسم "الفارس والتاج"».

بدأت عينا الساحر العجوز تلمعان حين وصل إلى نهاية قصته وهو ينظر إلى العدم ، ثم طرح زفيراً ذا خرير واستطرد قائلا :«لقد كان يعلم أنه لن يتمكن من إنهاء ما بدأه في نهاية الأمر ، يقال أن أمراً اتضح له أثناء بحثه عن تلك القطعة الأخيرة غيّره تماماً ، ولكنه لم يكن ليتوقع أن أحداً من ذريته لن يفعل ، فقد كان آخر ما قاله لأخيه "إن الذي يتم ما بدأته إن لم أفعل ، فإنه سيجد الحقيقة نصب عينيه ، وسيملكها بيمينه ، وسوف يمجد اسمه حتى يبقى حياً بعد موته ، كما سأبقى حياً بعد موتي ، ولكن الأهم من هذا وذاك ، فإنه سيجمع البشر أجمعين تحت راية واحدة. إن الذي يسعى أن يقود الناس إلى طريق الصواب فعليه أن يتقدمهم ، ويمسك بالمشعل الذي يستنيرون به ، ويدلهم على الحقيقة التي لا تراها عيونهم ، الحقيقة هي غايتي وغاية من أراد أن يحذو حذوي".

لكن أحداً من أولئك الضعاف المأفونين لم يتجرأ أن يرفع حصاةً ليبحث عن الحقيقة تحتها ، وبوفاة جلالة الملك دانيال الثاني ، توقفت كل المساعي للبحث عن قطع الحقيقة ، حتى صارت الأمور إلى ما صارت إليه اليوم.

لعل أحداً منهم لم يجرؤ على مواجهة مخاطر الرحلة ، فإنه قد قيل " أنه من يحيا بين عجائب السحر والشعوذة والوحوش يخسر عمره كله ، ومن يحيا بين عجائب البشر يخسر نصف عمره ، ومن يحيا وحيداً يعيش عمره بلا زيادة ولا نقصان" ، ولا شك بأن التعامل بالسحر والتخاطر والتشكيل قد كان محرماً بلا غفران في أوان أولئك.

لكن الأوان تغير ، وإن بقيت قلة العزيمة كما هي ، إلى يومنا هذا ، لم يكف أجدادي عن سرد هذه القصة ، وقد ورثتها عن أبٍ رواها لجلالة الملك الراحل "كورنيليوس بورجيا" لكن عبثاً ، لقد تأصل في عقولنا أن الأساطير محض كذب ، لعل ذلك كان بسبب بعض الرواة الزائفين ، ولكن لو وعيت أن تنظر إلى تاج جلالة الملك "جيرارد بورجيا" الذي يعتمره فوق رأسه الكريمة ، لوجدت المنصة التي وصفتها لك ، و لوجدت على المنصة سبعاً من القطع التي تشبه الزجاج في تكوينها ، و لرأيتها تشكل نصف دائرة غير مكتملة تشكل جميعها خاتم الملك دانيال الثاني».

تنهد العجوز مجدداً حين أدرك أنه لم يكن مقنعاً بما فيه الكفاية في حكايته ولكنه حاول تدارك الأمر بسرعة قائلاً :«أما أنا يا سموَّ الأمير فإنسان بسيط يتحدث كثيراً ، لا يمت بصلة لجلالة الملك دانيال الثاني ، غير كوني حاملاً للأسطورة التي تحكي عنه ، ولكنك أنت ، أنت سمو الأمير "دانيال بورجيا الخامس عشر" ، أنت تنحدر من سلالة ذلك الرجل ، أنت سميُّه وببركة الآلهة وريثه ، وأولى الناس بأن تأخذ الإرث العظيم الذي تركه ، يجب أن تكون أنت من يجمع قطع الحقيقة الست المتبقية».

وجد دانيال نفسه مستمتعاً بالقصة ، بل وحتى ممعناً بالتفكير فيها ، وإن كان ليريد الساحر -حسب زعمه بالسحر- أن يصمت الآن ، لكن يكفي بأنه اقتحم خلوة الرجل العجوز ليختبئ في ما يدعوه منزله ، وجد نفسه يقول :«تقول أنني سأجد تلك القطع على تاج جلالة الملك والدي؟ هل رأيت التاج بنفسك يوماً يا سيد...».

-«إلفياس... ، إلفياس نوركن سموك ، لا لا يمكنني أن أدعي بأنني أمعنت النظر إلى التاج بنفسي يا سموَّ الأمير ، لكن...».

قاطع دانيال إلفياس دون أن يرفع صوته ، وقال بأكثر ما أوتي من تهذيب ساعتها :«لا ، لم أتوقع ، على كل حال ، اسمح لي يا إلفياس بأن أخبرك بأن التاج لا يبدو كما وصفته ناقصاً ، بل يبدو كما من المفترض به أن يبدو ، مزخرفاً بسبع بلورات ، بعدد العائلات المباركة التي بقيت في مملكة ويتفورد ، مشيرة إلى أن حكم البلاد مبني على حكم العائلات السبعة» ، كان هذا ما عمل الماجيستر برنارد على أن يتذكره دانيال ، وإن كان محض هراء لا أكثر ، فكما يقول الماجستر العجوز ، صنع التاج في زمن أحد الملوك الذين اسمهم دانيال -وإن غاب عن ذهنه إن كان دانيال الأول أم الثاني- ، وفي ذلك الوقت كانت العائلات المباركة الثلاث عشرة لا تزال تقيم في ويتفورد ، كما علمه الماجيستر برنارد أيضاً.

أجاب العجوز بثقة تشي بعلم بهذه الأمور :«كما تقول يا سموَّ الأمير ، لكنني أؤكد لك أنك إذا رجعت إلى الكتب ، ستجد أن لا أحد من المؤرخين قد ذكر شيئاً كهذا ، إنما هي بدعة ، ولا شك عندي أن البلورات التي تتحدث عنها ما هي إلا قطع الحقيقة التي أخبرك عنها».

جال شك في خاطر دانيال بأن هذا الرجل لا يمكن أن تكون الأساطير مصدر علمه الوحيد ، وإن لم يلقِ للأمر بالاً ، لكنه تبسم وقال :«لنفترض ذلك أيها العجوز ، كيف لي إذاً أن أجد القطع المتبقية؟».

ردَّ العجوز :«لا شك أن الآلهة أرسلتك في الوقت الصحيح يا سموّ الأمير ، لقد كنت أجري القليل من البحث مؤخراً و...».

سمع دانيال أصواتاً من الخارج ، لا بد أنهم وجدوه أشار بيده لإلفياس بأن يصمت ، وأرخى سمعه ليصغي ، كان صوت يقول :«ها هو ، هذا حصانه يا سيدي» ، فكر في نفسه *"أرسلتني في الوقت الصحيح ، إلى المكان الخطأ"*.

سمع المزيد من الأصوات ، ثم وقع حوافر الخيول ، فوقف واقترب من الباب ، كان صوت السير (ديريك ستاجارد) يقول :«فتشوا هذه المنازل ، كلها ، أريد أن تعثروا عليه خلال دقيقة ، وأنتما فتشا الساحة لعله يريد تضليلنا بوضع حصانه هنا ، لكن لا يمكن له أن يبتعد». ثم سمع صوته يترجل عن حصانه و صوت خطواته تقترب بتبختر ، وقال بصوت خفيضٍ للباب الذي يفصل بينهما :«أليس كذلك يا سموَّ الأمير؟».

أحس دانيال بالرعدة تسري في جسده ، لكنه فتح الباب بهدوء وقال :«عليك اللعنة ، كيف وجدتني؟».

ابتسم السير ديريك الفارس في حرس سموّ الأمير ابتسامة المنتصر ، وقال :«لو اختبأت في أعمق جحر في توران لوجدتك بالسرعة نفسها سموَّك» ، ثم خطا خطوة داخل المنزل ، ليجد العجوز واقفاً بصمت وكله رعب مما يجري في بيته ، ألقى نظرة حول المكان وقال :«جحر عميق هو بالفعل».

نظر دانيال إلى إلفياس ، وقال ليطمئنه :«أقدم لك السير ديريك ستاجارد ، حارسي الشخصي ، وأجرؤ أن أدّعي بأنه صديقي أيضاً» ، ثم بدل نظره إلى ديريك وأشار إلى الساحر :«هذا إلفياس ، إلفياس نوركن ، ساحر ومعالج وما إلى هنالك».

انحنى إلفياس بلا داعٍ فأكمل ديريك قائلاً :«لعل سمو الأمير يجيب تساؤلات صديقه وحارسه الشخصي إذاً ، لمَ هربت؟» ، كان أميره يصغره بعامين لا أكثر ، في التاسعة عشرة من العمر ، لكن ديريك يقسم أنه يتصرف بعبثِ أبناء الثامنة عندما يريد.

-«لم أكن أريد الهرب ، ولست مضطراً لأن أفسر أفعالي ، أريد توديع هارولد بمفردي ، بلا جيش يتبعني».

كان ابن خاله هارولد قد سخر منه منذ أيام لاصطحابه دستة من الحرس في نزهة لم تتعدَّ ساحة المعبد ، أقل من نصف ميل من أقرب بوابة للقلعة ، قال عندها :«قد أحتاج نصف هؤلاء الشجعان إذا كلفني جلالة الملك والدك بالإغارة على فورغايتس عقب تنصيبي» ، ليس كأنه طلب حراسة كتلك ، ولن يعرض نفسه لسخرية ابن خاله مجدداً ، أو أنه لم يكن ينوي ذلك حتى الآن.

رد السير ديريك :«تقول لا جيش سموَّك» ثم وجه كلامه لإلفياس قائلاً :«اعذرنا أيها الحكيم ، سنأخذ ضيفك إذا تكرمت». ثم بعد أن خرجا إلى دفئ الظهيرة قال :«إنه صباح جميل ، وإن أفسدته بجعلنا نطاردك إلى هنا ، لكنه صباح جميل ، وهادئ جداً ، السير جاسبر أخذ فرقة من جند القلعة ليبحث عنك جنوب المدينة ، وحضرة القائد السير ديفرد ، اللعنة ، أظنه لا زال يوبخ السير إرستون على تركك تهرب منه ، سأرسل خبراً إلى القلعة بأنني وجدتك ، وسأتولى حراسة سموك اليوم ، إذا سمحت طبعاً ، قد يرغب جيشنا هذا بالاستمتاع بصحبة أفضل بأي حال ، نعم ، سأتدبر هذا ، ولكنني سآتي معك طبعاً».

شعر دانيال بالغباء ، ربما لأنه هرب... وربما لأنهم وجدوه ، هكذا قال مبتسماً :«أتمنى أن تكونوا حظيتم بوقت جيد وأنتم تجرون خلفي على الأقل ، لكنني لا أريد أن أجرّكم ورائي أكثر من هذا أيها السادة». جعلت كلماته الجنود -الذين يتمتعون ببعض حس الدعابة منهم- يبتسمون ، على أن جميعهم حنوا رؤوسهم وهمّوا بالمغادرة بعد أن أعطاهم فارس الحرس تعليماته.

كان ذلك حين أدرك إلفياس أن عليه توديع أميره ، فقد وقف على عتبة بابه وقال بصوت جهور :«فلتحفظ الآلهة سموّك بلطفها ، فلتتفكر فيما أخبرتك ولعلك تعاود المجيء قريباً ، لأخبرك بما تبقى».

رمقه السير ديريك بغرابة ، وحتى دانيال نظر إليه متسائلاً قبل أن يجيب :«أشكرك يا إلفياس ، لعلّي أفعل». كان هذا الرد الدمث الوحيد الذي وجده سمو الأمير في جعبته ، وانتظر حتى أغلق إلفياس بابه متردداً ، ثم التفت إلى ديريك وقال :«عجوز غريب ، يدعي بأنه ساحر أيضاً».

قال ديريك :«كما أنه لبقٌ حقاً ، وفصيح اللسان بالنسبة لرجل يعيش خلف بسطة بصل في سوق الحشائش ،» ثم أكمل وهو يعتلي صهوة حصانه بلا مبالاة للأمر «لعله ساحر حقاً».

كان السير ديريك فارساً شاباً ، فارع الطول ، تدل ملامحه القاسية -وإن كانت وسيمة إلى حد ما- على قوته ، كان وجهه ساكناً قلما يخونه تعبير ما ، وإن لم يكن عبوساً ، بل كانت ملامحه الثابتة أقرب إلى ابتسامة ماكرة وكأنه يعلم حل أحجية ما يبحث عنه الجميع ، ولا ينوي إخبارهم به. وكان شعره يصل إلى مؤخرة عنقه ، ممشطاً بعناية ، ويلمع بالزيوت طيبة الرائحة. عيناه الرماديتان باستطاعتهما معرفة ما يخفيه دانيال بنظرة ثاقبة.

كانت المدينة القديمة قد ابتلعت آخر جندي في فرقة السير ديريك بالفعل عندما همز الأمير والفارس حصانيهما وبدآ التحرك ببطء باتجاه الساحة المزدحمة بالباعة والمشترين والمتسولين من هؤلاء وأولئك ، ومن حولهما ارتفعت الأبنية المتواضعة على طرفي الطرق الضيقة بحيث لا يستطيع خيّالان الركوب جنباً إلى جنب ، والتي تفضي إلى الساحة التي كانت معبدة بالحجارة وانتشرت فيها برك صغيرة من الطين الجاف الذي يلمع تحت أشعة الشمس ، يحذّر الناس من الخوض فيه.

فكر دانيال بأنه ابتعد عن قلعة توران حقاً ، كانت القلعة تبدو شيئاً هائلاً مهيباً من هذا المكان ، وكأنها حلمٌ امتزج بالسماء والأرض ، وصارت جزءاً منسيّاً من الأفق بحيث تنسى بأن البشر هم من بنوها ، تقول رواية ما بأن أحد أسلافه الملوك -لعله كان دانيال الثاني أيضاً- استأجر مئةً من سادة المشكِّلين -الذين بإمكانهم طي الأرض وجعل صخورها تتشكل حسب إرادتهم- لبناء هذه القلعة على أطلال قلعة أقدم تحمل نفس الاسم ، كان ذلك منذ مئات السنين ، وعندما ينظر إلى حجم القلعة من هذه المسافة ، كان بإمكان دانيال تصديق هذا بسهولة.

استطرد دانيال قبل أن يأخذ الحديث مجرىً آخر :«ليست توران بالمكان الغريب عن السحرة ، رغم كل شيء».

كان رد السير ديريك جافاً حيث قال :«سمو الأمير أدرى مني بهذه الأمور».

-«هل أنا حقاً ، سير ديريك أنت موسوم بالتخاطر ، أليس كذلك؟ لديك القدرة على الحديث إلى الوحوش».

قال ديريك مستنكراً اتهام الأمير :«لكنني لا أسمح لنفسي بفعل شائن كهذا سموك ، إنني فارس منصب ، ولقد أديت قسما حين كان سيف السير ثيرين متكئاً على كتفي».

تلك إحدى الأشياء التي لا يفهمها دانيال ، يمكن للرجل أن يكون فارساً ، ويمكنه أن يكون موسوماً بعطية جيكال ، لكن أن يكون فارساً موسوماً... فإن استخدام أحد فنون جيكال المبارك وصمة عار تلوث شرف الفارس.

-«لم أكن أقصد الإساءة ، لا يمكن لأحد أن يقول إنك تسمح لنفسك بذلك ، لكنني قصدت القول بأن رجلاً مثلك يمكنه أن يؤمن بوجود قدرة أكبر من أن يفهمها البشر ، ألا تتفق معي؟».

أجاب الفارس ولم يبد عليه أي نوع من الاهتمام :«بالطبع سموك ، أؤمن بوجود قوىً لا نفهمها ، الآلهة على سبيل المثال ، قد يقول لك جال المعبد أن الآلهة ترسل لنا نبياً كلما مات آخر ، ليبينوا لنا ما تريده الآلهة ، لكن إذا لم تكن ألف سنة من توظيف الأنبياء كافية لشرح ما تريده ، فإن الآلهة لا فرصة لديها في جعلنا نفهم ماهيتها».

دون أن يتوقع ، كانت الإجابة مرضية لدانيال بما يكفي ليسأل :«وماذا عن البشر ، هل باستطاعة البشر أن يصنعوا شيئاً مشابهاً».

-«أعلم أن جيكال المبارك ترك لنا عطايا عديدة ، منها التخاطر الذي ذكرته سموك ، وكذلك السحر الذي يدعيه ذلك العجوز ، والتشكيل الذي تقول الحكايات التي اعتدت سماعها في سويو أن باستخدامه بنيت توران ، وأيضاً هناك قصة الكهنة الخمسين ، والتكهن يجعل العطايا التي نعرفها أربعة ، منها ثلاثة شائعة يمكن أن تراها بعينك ، وإن كنت لا تستطيع أن تفهم ماهيتها بدورها».

كانا قد قطعا الساحة وانعطفا جنوباً حيث يبدأ شارع الجزارين ، الذي تستقبلك رائحته المنفرة وكأنها زوجة الشارع التي تكره ضيوفه ، عبرا صانعين بسيرهما خطاً متعرجاً حذراً من الخوض في برك الدماء وأكوام الأحشاء المبعثرة هنا وهناك. كان الوقت ظهراً لذا فلم تكن الرائحة طازجة وبدأت دماء الخنازير والعجول تستحيل إلى لون بني. والأسوأ كان الذباب الذي يحط على أنف دانيال أو على جفنه الأسفل ، ولا يتزحزح حتى يذبه بيده بعيداً.

قال دانيال :«ذلك الساحر ، إلفياس ، لقد أخبرني بقصة مثيرة للاهتمام حقاً ، أظنك تعرفها ؛ الفارس والتاج. لكنه رواها بطريقة مختلفة ، وكأنني أسمعها للمرة الأولى».

تساءل ديريك :«قصة الفارس الحكيم الذي جمع دموع جيكال من أرجاء الأرض؟ أوه ، ومن ثم صنع منها تاجاً عظيماً ، ثم ارتدى ذلك التاج وأعلن نفسه ملكاً ، إنها سلسلة القصص المفضلة لدى أي صبي يحلم بأن يكون فارساً ، لقد كانت المفضلة لدى أخي سيميون على كل حال». استطرد ديريك عندما لم يعلق دانيال :«المفضلة لدي كانت قصة مخضع التنانين ، الذي سرق تنيناً من معبد الميجوس ، ثم جعله مطيته ، كنت أصدق تلك القصة ، دائماً أحلم بأنني مخضع التنانين ، بأنني أسرق تنيناً من جوف قلعة حارة كشمس الصيف ، وأركبه لأحلق به عالياً».

قال دانيال ساخراً :«لا بد أنك كنت صبياً جامحاً إذاً ، تقول لمؤدبك أن يحترم مخضع التنانين». ورفع سبابته مهدداً الهواء بسخرية.

أجاب ديريك وقد غلبه الضحك :«كان عليك أن ترى. لكن القصة لم تنتهي هناك ، لقد رجوت أبي أن يأخذني إلى "عش التنانين" ، ظناً مني أن التنانين لا بد أن تكون موجودة بكثرة هناك». ضحك دانيال بدوره ، فأكمل ديريك محتجاً :«عندما تقول لصبي في السابعة بأن هنالك مكان اسمه عش التنانين ، فلك أن تراهن بأنه سيتخيل الناس هناك ، يركبون تنانينهم ليذهبوا إلى أسواقهم ومزارعهم. على أي حال ، ليست هذه النهاية حتى ، بعد تنصيبي فارساً ، شيء ما جعلني أذهب لأرى بنفسي ، كنت في بيرتشوود عندها ، كنت قد شربت كفاية لأتخذ قراراً كهذا ، ليلتها أقام اللورد ساوريك بيرتشوود مأدبة صغيرة على شرف تنصيبي ، وجعلت الجميع يضحكون عندما أعلنت بأنني ذاهب لأروض تنيناً في عش التنانين. وعندما استيقظت كانت عزيمتي لم تنقص ، ركبت تسعة عشر يوماً بمفردي ، وعندما وصلت رأيت بغالاً أكثر من خيول ، ولا تنانين على الإطلاق ، لا يا سمو الأمير ، أعتقد بأن بعض الأشياء تبدو غريبة فقط ، لكنني أشك في أن هناك نوعاً من القوى غير المفهومة التي تعنيها».

مضى الطريق بهم إلى ساحة المعبد ؛ المسماة أيضاً ساحة الشحاذين ، حيث تلتقي طرق المدينة الغربية الرئيسية الثلاثة (شارع الجزارين ، وطريق النحاس ، وسلم القلعة) وتنتهي كل منها بساحة أخرى ، ومن هنا أيضاً ، ينطلق شارع أضيق قليلاً نحو البوابة الجنوبية للمدينة ، المسماة بوابة الملوك نسبة لملوك آل بورجيا الذين أتوا من عاصمة المملكة السابقة "بولبيري" ، مقر العائلة. وكان هذا هو الطريق الذي سلكاه.

وجدا السير جاسبر تورينجتون وفرقته ، يسلكون الطريق عائدين إلى القلعة ، كان معطف الحرس الملكي الأحمر ذو رأس الثور الذهبي الذي يرتديه يرفرف وراءه كراية في معركة وادي الذهب ، وسيفه المنمق -فخر آل تورينجتون- يصلصل كلما خبت فرسه الرمادية الرشيقة ، ويبدو أنه عرفهما عندما لاحظ معطف السير ديريك من المسافة نفسها. فأعطى إشارة بالكاد تُقرأ بيده ، لتتوقف جماعته عندما التقت الخيول.

حدج السير تورينجتون دانيال بنظرة قاسية -وإن لم تخل من واجب الاحترام- وقال :«سمو الأمير». وتابع بعد أن حياه دانيال بهزة من رأسه :«لم تسبب مثل هذه المتاعب ، منذ أن انضممت إلى حرسك».

السير جاسبر تورينجتون في الرابعة والعشرين من العمر ، وهو أحد أقدم فرسان دانيال الذين يحرسونه اليوم ، ضمه حضرة قائد حرس الأمير السير ديفرد بولثورن إلى مجموعته عندما كان في السادسة عشرة ، عندما فاز بلقب الفارس الصاعد ، في إحدى دورات المباريات التي أقيمت في توران ، وإن لم يذكر دانيال المناسبة ، ولكنه يراهن أن السير جاسبر سيذكر لو سأله.

كان الرجل كومة من الوسامة على ظهر فرس ، بشرته ناصعة البياض ، وذقنه العريضة البارزة محلوقة على الدوام ، وشعره الذهبي الطويل معقوداً بشريط جلدي ، وتنتهي خصلته الرفيعة الممخورة بالزيوت بين كتفيه العريضين. وتلمع عيناه الزرقاوان الداكنتان عندما يحدق بدانيال.

أجاب سمو الأمير بملل :«لقد خضت في هذا مع رفيقك السير ديريك بالفعل أيها الفارس». قد يكون السير جاسبر صديقاً جيداً لدانيال ، لكنه يمثل حارساً شخصياً ، على عكس السير ديريك الذي بإمكانه أن يقضي معه ساعات من الثرثرة. «سيتولى حراستي اليوم. أنا أريد هذا».

امتعض السير جاسبر ونظر إلى ديريك ، الذي هز رأسه مؤكداً. عادت النظرة القاسية إلى وجه جاسبر وهو يقول :«إذاً ، فليسمح لي سمو الأمير بأن أصرف الجنود وأنضم إليه بنفسي كذلك».

قال دانيال :«أنا ذاهب لأودع السير هارولد فحسب ، لا أرى داعياً لهذا ، لكن إذا كنت مصراً على أن تضيع نهارك ، فمن دواعي سروري».

وهكذا صار الاثنان ثلاثاً ، قادهم جاسبر إلى حيث ينتظر السير هارولد ، بعد أن كان قد وجده وهو يبحث عن دانيال ، ظناً منه بأن سمو الأمير أراد أن يذهب إلى بولبيري مع السير هارولد.

كان السير هارولد يقف مستنداً إلى عربة أمتعة منتظراً بملل ، في يده اليمنى خنجر حزامه القصير ، ينظف به أظفار يسراه ، وينقر الأوساخ التي تعلق برأس الخنجر المدبب بسبابته. عندما رآهم نفخ في راحة يده وظهرت ابتسامة خبيثة مع حاجبين مرفوعين على وجهه ، ودفع نفسه بكتفيه بعيداً عن العربة وهو يعيد الخنجر إلى الغمد الجلدي الأسود على يمين حزامه ، وتقدم نحو الراكبين بخطوات واسعة متكبرة.

قال هارولد :«لقد جعلتنا نقلق يا سمو الأمير. عندما قال السير جاسبر بأنك هربت من القلعة وحدك ، لم أستطع أن أمنع نفسي من الضحك. كنت لن أبرح المدينة حتى أراك بالطبع».

احمر وجه دانيال ، لقد أتى هروبه بنتيجة أسوأ مما تخيل ، وها هو قد تسبب بإحراج نفسه أمام هارولد. أجاب ببرود :«كنت سآتي فور أن أضيع فرساني ، لكنني اكتشفت أنهم يعرفونني أفضل مما تصورت وقد أخضعتهم للاختبار». ترجل دانيال عن حصانه وتبعه فارسا الحرس ، ثم أكمل :«سير هارولد ، هل عليك المغادرة بهذه السرعة ، لم نستطع الجلوس معاً بعد ، وقلت بأنك سترافقني في رحلة صيد ولم تفعل».

أجاب السير هارولد آسفاً :«لو علمت بما سيحدث في سيفارا لما أتيت أصلاً... من أخدع ، كنت لأترك نصف ويتفورد تحترق وآتي ، ليس كل يوم يكرم الفارس من قبل جلالة الملك» ، وأشار بسبابته إلى الوسام الذهبي الذي علقه جلالة الملك على صدره ، دبوس كبير الحجم على شكل ترس مرسوم عليه رأس الثور الأحمر ، شعار عائلة بورجيا ، وتتدلى منه ثلاثة شرائط قصيرة ، أحمر وأزرق و ذهبي. «لكن علي الذهاب سموك ،» وقال بكلمات هامسة -لا تخلو من الاستعراض- وكأنه يفصح عن سر ما :«يجب أن أقود قوات بولبيري ، لقد كلفني جلالة الملك بتمشيط أراضي سيفارا الغربية ، وقوات بورجيا وبولثورن خرجت من بولبيري بالفعل ، علي أن ألاقي فرقتي بأسرع وقت» قال الجملة الأخيرة بصوت مرتفع حازم غير قابل للنقاش.

هارولد هو الابن الوحيد لخال دانيال الأكبر -ممن هم على قيد الحياة- اللورد ستيوار بورجيا ، سيد بولبيري ، واللورد رجل عجوز لا طاقة له بقيادة بولبيري إلى الحرب.

تساءل السير جاسبر بفضول :«هل من أنباء عن تعداد أتباع اللورد كونوِاي».

أجاب الفارس المكرم :«بالتأكيد ، كل رجل في ويتفورد تجري في عروقه دماء *سربكية* يتبع روبارد كونوِاي ، أعدادهم قد تصل إلى الخمسين ألف ، أغلبهم من المجندين إجبارياً ، حسبما أطلعني عليه حضرة اللورد عمي ستيفان ، فإن هنالك عشرين ألفاً من الجنود النظاميين ، ومئات الفرسان ، لكنهم مقسمون إلى أربعة كتائب غير متساوية في الأعداد كل منها تسير في جهة مختلفة».

قال ديريك :«يبدو أن اللورد كونوِاي يشكل خطراً حقاً ، تقسيم كهذا يعني أن لديه خطة جيدة».

قال هارولد الأكثر خبرة في المعارك المفتوحة :«أو خطة سيئة حقاً ، أو لا خطة على الإطلاق. في الواقع ، لا يمكنك التنبؤ بشيء من تقسيم جيش سيفارا ، الخطر الحقيقي الوحيد ، هو أعداد أتباعه ، لكنهم لم يخوضوا معركة واحدة بعد». ثم قال رافضاً الإجابة عن المزيد :«كفانا حديثاً عن التمردات ، سمو الأمير هل ستقبل اعتذاري عن رحلة الصيد ، إذا وعدتك بأننا سنعوضها لاحقاً ، ربما عليك أن تأتي إلى بولبيري قريباً وسنصطاد الغزلان في *الغابة الظليلة*».

كان دانيال يستمع دون أن يلقي بالاً ، لقد كان يعلم هذا وزيادة منذ وصلت الطيور محملة بالأنباء ، وفي اجتماعات المجلس جلس عندما ناقش جلالة الملك قضية التمرد خطوة بخطوة ، ولم يكن يريد أن يتحدث عن الموضوع بدوره.

-«أرجو ذلك حقاً. دعنا نركب معك قليلاً الآن».

أجاب السير هارولد وهو يعطي إيعاز التحرك بإشارة من يده :«سيكون هذا من دواعي سروري ، سمو الأمير».

تحرك الركب جنوباً ، بادئاً الرحلة الطويلة إلى بولبيري ، وركب دانيال إلى جانب ابن خاله هارولد في المقدمة ، يتبعهما مباشرة السير ديريك والسير جاسبر. ضربت حوافر الخيول الأرض المعبدة بالتراب المكدس التي تبدأ بعد بوابة توران ، مسببة شيئاً من الغبار يكفي ليزعج رئتي الراكبين. كانت الشمس قد بلغت ذروتها في السماء وبدأت بالميلان غرباً بالفعل ، لكنها لم تكن مزعجة ، بل رحَّب دانيال بشيء من دفئ بداية الربيع تحت ثيابه.

كان السير هارولد المكرم -وإن كان قد كُرم منذ يوم واحد فقط- يجلس بثبات لا تعوزه العجرفة على صهوة فحله البني الضخم ، وكأنه خرج إلى الدنيا راكباً. مرتدياً سراويل بيضاء ناصعة ، مغمدة داخل حذائه الجلدي الطويل البني المطرز بالذهبي ، وسترة حمراء من الكتان فوق قميص حريري أبيض ، ومعطفاً أحمر خفيفاً يرفرف مع أكثر نسمات الريح كسلاً.

بعد تردد قصير ، بادر دانيال بالكلام قائلاً :«سير هارولد ، هل تؤمن -أنت- بوجود قدرة أغرب من أن نفهمها؟».

قال هارولد :«هل تعتقد حقاً بأنني الشخص المناسب لأجيبك عن هذا السؤال؟». ورفع يده أمام صدره وكأنه يحمل بطيخة فيها ، وبدأت ذراعه ترتجف ، بدا عليه بأنه غير راضٍ عن صعوبة الأمر ، ابيض وجهه بشكل لم يستطع دانيال ألا يلاحظه ، وسالت خرزات ناعمة من العرق على جبينه. ثم ظهرت ابتسامته مجدداً ، وأشار بعينيه إلى الأمام ، حيث بدأت بعض الأحجار المكومة على قارعة الطريق بالارتجاف ، وارتفعت إحداها من بينها دافعة البقية لتسقط ، وحلقت على ارتفاع قدم قبل أن تتذكر أنها حجرة وتعاود السقوط.

حدث كل هذا في غضون ثوانٍ معدودة ، كانت كافية ليخب السير جاسبر مقترباً منهم ، ليقف على الجانب الآخر من السير هارولد ، وصرخ بصوت أجش قائلاً :«سير هارولد!». كان هذا عندما ترك السير هارولد الحجر يسقط. تابع جاسبر توبيخه للرجل الأكبر منه سناً :«هذا غير لائق».

وافقه السير ديريك قائلاً من وراء ظهره :«إنك فارس محلف ، أيها الفارس. كيف تجرؤ على استخدام الفنون ، وفي حضور الأمير».

ابتسم السير هارولد ورفع يديه ، وكأنه يقول أن لا علاقة له بالأمر ، وقال مقهقهاً :«أعتذر منكم أيها الفرسان ، ليس الأمر كأنني قتلت رجلاً ، كان حجراً صغيراً ، لم يكن الأمر ليختلف لو أنني نزلت عن خيلي ورفعته بيدَي».

قال جاسبر تورينجتون :«لكان اختلف الأمر ، سير هارولد ، لكان اختلف كثيراً ، إن الفنون وصمة عار ، ولا فارس يحترم سيفه يجرؤ على لمسها».

زفر السير هارولد ، وقال :«تعجبني حميتك سير تورينجتون ، لكنني آسف لتخييب أملك ، أستطيع أن أعد لك دستتين من الفرسان -يحترمون سيوفهم أكثر من آبائهم- لم يكن أحد ليذكر أسماءهم لولم يستخدموا الفنون. واثق بأنك كنت تمثل بأنك أحدهم عندما كنت صبياً تلعب بالعصي مع أخوك الأصغر...».

قاطعه دانيال قائلاً :«ليس هذا وقت الجدال ، سير جاسبر أرجوك عد إلى مكانك». طالت نظرة السير جاسبر ، الذي يبدو أنه كان يحضر رداً دسماً لولم يقاطعه دانيال ، أكد دانيال قائلاً :«الآن!» ، حنى فارس الحرس رأسه وتأخر عنهما خطوتين.

قال هارولد :«أين كنا سمو الأمير؟».

أجاب دانيال :«كنا ، نتحدث عن السحر ، وكنت تريني خدعتك» رفع دانيال حاجباً مؤكداً أن الخدعة لم تثر إعجابه ، وأكمل :«لكن هذا لم يكن ما أعنيه ، أسألك عن شيء بغرابة...» ، فكر دانيال لحظات ثم أكمل :«بغرابة قصة جيتامن ؛ قاتل العملاق».

رمى هارولد رأسه إلى الوراء ضاحكاً ، لكنه مع ذلك أجاب بدون استهزاءه المعتاد :«هذا أفضل شيء أسمعه منذ مجيئي إلى توران ، كنت أعلم أنني لن أغادر دون أن أسمع شيئاً من هذا القبيل ، إنها مدينة الأساطير رغم كل شيء». حدق السير هارولد بعيني دانيال وأكمل قائلاً :«لم لا ، سموك ، بل إنني أشك بأن قصة جيتامن نفسها محض أسطورة ، لابد للأسطورة أن تحمل شيئاً من الحقيقة». ابتعدت نظراته إلى الطريق الترابي الممتد على مدى النظر ، «أجل ، سمو الأمير ، أظن أن هنالك نوعاً ما من الأشياء الغريبة التي تحدث دون أن يعيرها أحد اهتماماً ، لا بد من وجود شيء كهذا ، فمنذ خمسمائة عام ليس إلا ، كان الناس ليقسموا أن ما فعلته أمامك الآن مستحيل ، لأنه كان مستحيلاً بالفعل».

كان جواباً شافياً ، ليس لأن دانيال كان يريد هارولد أن يؤكد أسطورة الساحر ، بل لأنه اختلف تماماً مع جواب ديريك ، حدث دانيال نفسه قائلاً : *مختلفان كما الشتاء والربيع*. وإن كان شيئاً متوقعاً من كليهما ، فإن دانيال سيشعر بالراحة إذا صارا وزيريه عندما يعتمر تاج أبيه *-بعد دهر طويل إذا شاءت الآلهة-* ، وزير الشرق ، ووزير الغرب.

ترك دانيال ورفيقاه السير هارولد بعد مسافة قصيرة ، وابتعد الفريقان عن بعضهما بسرعة. أخذت الطريق دانيال شمالاً مرة أخرى ، نحو توران. وعبر من بوابة الملوك مجدداً ، وانعطف يساراً ليتجنب المرور من شارع الجزارين. انطلقوا شمالاً بعد ذلك ، عبر الأحياء المجانبة لسور المدينة ، تلك الأحياء من توران ، تبدو وكأنها أخت غير شقيقة للمدينة القديمة ، فرغم أنها بنيت بعدها بقرون ، إلا أنها ستنهار قبلها بعقود على أفضل تقدير. كانت البيوت هنا مبنية بالحجارة البحرية ، التي تبدو وكأنها تتفتت في مكانها ، عارية من الداخل وغير مملطة من الخارج ، حيث كانت بيوت المدينة مبنية بالحجارة النهرية المملطة بالطين وخشب الزان ، بل وبعض الخانات كان مبنياً بالجرانيت. والسقوف بعضها من خشب السرو أو السنديان ، وبعضها من القش المجمع بالطين ، توازيها سقوف المدينة من ألواح الأردواز.

كان قد حدد منزل إلفياس ليتأكد أنه لم ينسه ، الأمر الذي كان سهلاً ، فحتى بالنسبة لبقية الحي ، كان منزل إلفياس متواضعاً ، حيث تخلى العجوز عن ميزة النوافذ. نظر دانيال وراءه ، ورأى السير ديريك يشير إلى منزل الساحر ضاحكاً ، وهو يتمتم إلى السير جاسبر بصوت منخفض ، حافظ السير جاسبر على ابتسامة هادئة وهو يستمع إلى القصة.

تذمر دانيال عندما قهقه السير جاسبر أخيراً :«أيها الفارسان ، فلنسرع لو سمحتما».

مضت دقائق قبل أن يلجوا بوابة القلعة ، كان فارسا حرس الأمير لا يزالان يتمتمان لبعضهما عندما ركب دانيال عبر الباحة المرصوفة بالحجر. الباحة تمتد على طول السور الجنوبي للقلعة ، ودفاعات القلعة في هذه الجهة من السور مخفية تماماً ، فهذه هي واجهة العاصمة. تتخذ أرصفة الباحة مسارات متعرجة كثعبان صحراء ، وتحددها مساحات خضراء أصغرها تحوي شجيرات ، وألف نوع من الزهور ، وأكبرها قد تحوي على عشر نخلات تبلغ أطولها الثلاثين قدماً طولاً. وسط الباحة ، يقطع أوسع المسارات الحدائق بخط مستقيم ، يصل بوابة المعقل الداخلي ببوابة السور الضخمة.

عند تلك البوابة كان حضرة قائد حرس الأمير الشخصيين السير ديفرد بولثورن ينتظر بترقب وحده. حياه دانيال وهو يترجل عن حصانه بهزة متكلفة من رأسه ، وانحنى القائد لتعكس قمة رأسه الأصلع شمس العصر. السير ديفرد لم يبلغ الأربعين من العمر بعد ، لكن شعره لم يكن يتمتع بفضيلة الصبر ، فما تبقى منه على جانبي رأسه ، كان الرمادي فيه يفوق الأسود بخمس شعرات لكل شعرة. لم يكن رجلاً طويلاً ، لكنه عندما يخاطب أي رجل آخر ، فإنه يبدو وكأنه ينظر إليه من فوق صهوة حصان. لكن أهم خصاله ، هو أنه رجل مخضرم في الحراسة ، فقد كان حارساً شخصياً لجلالة الملك قبل أن يترفع إلى رتبته.

قال السير ديفرد بقسوة مخاطباً الفارسين باستطراده المعتاد :«يمكنكما الانصراف أيها الفتيان ، يبدو أنني اخترت فرساناً يجدر بهم حراسة قن دجاج في مزرعة عجوز لديه سبعة أبناء مستعدين لينقذوكم إذا هاجم ثعلب». لم يكن لدى القائد أي اعتبار في شأن كهذا ، إذا أخطأ أحد رجاله ، فجميع رجاله مخطئون.

قال الفارسان بصوت واحد :«كما تشاء حضرة القائد». وزاد السير جاسبر «فلتعذر زميلنا حضرة القائد».

أكد السير ديفرد :«اغربوا عن نظري».

انتظر السير ديفرد الفارسان حتى ابتعدا ، ثم وجه نظره نحو دانيال ، الذي ناول أزمة حصانه لقيم الخيول وخلع قفازي ركوبه ووضعهما في حزامه بالفعل. «لا شك أن سمو الأمير حظي بوقت ممتع» ، كانت ابتسامته الراضية تجعله يبدو وكأنه سينفجر ضحكاً في أية لحظة ، «أيهما وجدك ، سمو الأمير؟».

-«السير ديريك ، الفارس لديه موهبة في معرفة ما أفكر فيه».

-«كان رهاني على السير جاسبر ، الرجل فارس بكل معنى للكلمة ، لكن السير ديريك يعرف أميره أكثر ، على أي حال لن أدعهما يسمعاني أقول كلمة جيدة عن أحدهما. سمو الأمير كان حضرة الماجيستر بيرنار يبحث عنك منذ دقائق قليلة ، يبدو أن حضور سموك مطلوب في البلاط».

أعلن دانيال :«أخبار جديدة من سيفارا على الأغلب» ، لم يكن لدى دانيال حلول ليعرضها على البلاط تخص تمرد اللورد روبار ، لكن حضوره مهم من باب الواجب الشكلي لا أكثر.

-«كما يقول سمو الأمير».

ولج دانيال من بوابة الحصن الداخلية واتجه يساراً ليقطع الدهليز الواسع المحدد على جانبه الأيسر بالأعمدة الرخامية ، التي تسمح لضوء الشمس بإضاءته ، وسلك أقصر طريق يقود إلى "برج التيجان" الذي يقطنه أفراد العائلة الملكية. إذا كان سيمثل في البلاط ، فعليه أن يبدو بأبهى صورة لأمير.

عبر الدرجات الأربع التي تفصل الدهليز عن ساحة داخلية صغيرة ، تحيط بها المطابخ وسكن الخدم ، أبنية واطئة أعلاها يتألف من دورين اثنين ، وبعد سلسلة من الانحناءات من عاملات المطبخ ، وصل إلى ساحة خلفية ، تسمى "حدائق كويلسا" على اسم آخر ملكة كانت تعتني بها. من هنا ، دخل دانيال "برج التيجان" الضخم من باب خلفي.

تسلق السلالم درجتين في المرة. وفي الطابق الثالث ، دخل الدهليز المضاء بالمصابيح الزيتية ، كانت المعلقات الجدارية زاهية الألوان تغطي الحائطين على امتدادهما ، تصف مناظر طبيعية خلابة -من سهول مزهرة ، وجبال ملتحية بالثلوج الناصعة ، وأشجار تصل بين الأرض والسماء- أو تصويريات لحيوانات نادرة أو منقرضة -من تنانين ، ووحيدات قرن ، وخيول سحاب ، وأسود بيضاء- ، وتنقطع فقط عند وجود باب أو مصباح زيتي معلق بسلسلة نحاسية.

قبل أن ينعطف يساراً ليتجه إلى حجراته ، ارتطم بالماجيستر الأصلع بيرنار. أخذ الماجستر وقتاً أكثر من كاف ليتعرف سمو الأمير ، وقبل أن تسنح فرصة لدانيال ليعتذر من حضرة الماجيستر ، قال بيرنار :«سمو الأمير ، الشكر للآلهة أنني وجدتك في القلعة».

-«ماجيستر بيرنار ، لقد أخبرني السير ديفرد بأنك تبحث عني». هز الماجيستر بيرنار رأسه مؤكداً. «جئت أبدل ثوبي لأحضر انعقاد البلاط بزي لائق».

قال الماجيستر مستنكراً :«سمو الأمير ، هل سمعت بأن ملكاً عقد البلاط بعد المغيب». رفع دانيال حاجبيه مستفهماً ، فشرح الماجيستر :«لقد انفض البلاط بالفعل سمو الأمير» ، بدا صوت الماجيستر غير واثق عندما أكمل «لكن جلالة الملك والدك أمر بعقد اجتماع الشرق والغرب».

تساءل دانيال إذا كانت معالم الصدمة بادية على وجهه ، لكنه استجمع نفسه وأغلق فمه الذي أدرك أنه مفتوح «من أجل سيفارا؟ هل أنت متأكد حضرة الماجيستر».

أكد الماجيستر قائلاً :«لقد أمر جلالته بحضورك سمو الأمير ، الاجتماع سيعقد في غضون نصف ساعة ، لذا أظن عليك الاختيار بين الحضور بزي غير لائق ، أو الحضور متأخراً».

هز دانيال رأسه وهو يقول :«أظن أن علي الحضور باكراً ، أين يعقد هذا النوع من الاجتماعات». كانت آخر مرة عقد فيها اجتماع الشرق والغرب منذ أكثر من نصف قرن ، عندما جمع الملك ليبايس بورجيا وزراءه ليدرسوا انقلاب الأمير دانيال -جد دانيال- الذي انتهى بتنحية الملك ليبايس بورجيا وتتويج الملك دانيال بورجيا الرابع عشر.

قاد الماجيستر بيرنار دانيال إلى قاعة الاجتماع. خارج برج التيجان ، إلى البناء الأقدم من قلعة توران الذي بني منذ أكثر من ألف عام ، حيث يعقد البلاط أربعة أيام في الأسبوع. لكن الماجيستر لم يتوجه إلى البهو الكبير. بل انعطف يميناً ثم يساراً ، وعلى الجانب الأيمن ، يقف مصراعا بابٍ -يضاهي باب البهو الكبير عرضاً ، وإن كان أقصر بأربعة أقدام- من الخشب الأسود ، ذو مفاصل وعوارض ذهبية. وخارج القاعة يقف حارسان فارعا الطول ، يرتديان زي جند القلعة الأحمر ، ويحملان المطارد عمودياً على الجهة المعاكسة للباب بالنسبة لكل منهما. انحنى كل منهما لدانيال برأسه عندما وصل مع الماجستر.

ترك الماجستر بيرنار الأمير عند الباب واستأذن بالانصراف. فصرفه دانيال بهزة من رأسه. وأعلن الحارس الذي فتح له الباب وصوله بصوت صاخب.

القاعة عبارة عن بهو طويل ، مفروش ببساط فاخر أحمر اللون وأطرافه منسوجة بالأزرق والذهبي. على الحائط البعيد معلقة جدارية تصور المعركة التي دمرت توران منذ ما يزيد عن خمسمائة عام ، والتي تدعى "معركة الخمسين كاهنا" ، -ولو أنها لم تكن معركة بالمعنى الحرفي ، بل أقرب إلى إبادة طرف يقاتل بالسحر خارج الأسوار ، لطرف لا يقاتل أصلاً داخلها- ، وعلى طول البهو من الجهتين ، تقف أعمدة ذهبية نهايتها مخروطية كالكؤوس ، يملأها زيت المصابيح ، كان يقوم عاملو المشاعل بإشعالها عندما دخل دانيال. وفي الوسط مائدة مستطيلة يبلغ طولها ثلاثة عشر قدماً وعرضها ثمانية أقدام ، غطاؤها من الكتان الأزرق ، وفي نهايتها كرسي ذو ظهر طويل ، قمته مزخرفة بثورين قويين على التناظر ، يبدوان كأنهما يتناطحان. وعلى كل طرف من المائدة ثلاث كراسٍ أقل ثراءً بالتفاصيل ، وإن كانت ظهورها الطويلة تكاد تماثله طولاً.

لم يكن دانيال أول الواصلين ، فقد كان خاله ، حضرة اللورد وزير الغرب ستيفان بورجيا يجلس بترقب على الكرسي الأول على يسار كرسي جلالة الملك.

وقف اللورد ستيفان رافعاً حاجبيه بابتسامته الماكرة المعتادة ، وحنى رأسه بتكلف قائلاً :«سمو الأمير».

اللورد ستيفان رجل طويل ، ولو لم يكن ضخم الجثة ، بل كانت ذراعاه نحيلتين ، وكتفاه رفيعين. كان شعره بنياً كمعظم آل بورجيا ، ولحيته الفاخرة عبارة عن خط رفيع يصل الشعر فوق أذنيه إلى كتلة منمقة أكثر عرضاً من الشعر البني المشذب بعناية على خديه. وعيناه الخضراوان كاليشب ، تبتسمان ولو كانت بقية وجهه ساكنة. حضرة الوزير هو أصغر أبناء الملك المعزول ليبايس ، وهو ابنه من زوجته الأولى ، ما يجعله أخاً شقيقاً للملكة مانديل بورجيا يكبرها بتسعة أعوام.

كان اللورد ستيفان يرتدي قميصاً فاخراً من الحرير الأبيض ، مطرزاً بالخيوط البيضاء ليعطي رونقاً فاخراً. تحت رداءٍ من الكتان الناعم الأحمر ، أكمامه مطرزة بخيوط الذهب على أشكال أوراق الشجر الخماسية ، وفوقه معطف من السميت الأحمر.

أجاب دانيال الانحناء بانحناء وقال: «خالي».

بعد تأمل المائدة ، اتخذ دانيال كرسيه على يمين كرسي خاله ، وسمح لنفسه بخطف قفازي ركوبه -اللذين صنعا الآن كتلة مزعجة في خاصرته- من حزامه ووضعهما على الطاولة أمامه ، قبل أن يسأل :«ما سبب هذا الاجتماع؟ هل هي سيفارا مجدداً؟ هل هجم اللورد روبار أخيراً؟».

كانت عينا اللورد ستيفان على قفازي دانيال ، ووجهه الذي يبدو أنه لا يستطيع التعبير عن المفاجأة أو خيبة الأمل مسترخ في ابتسامة ساخرة -ليس من دانيال ، بل ساخرة فحسب- وهو يقول :«أخشى أن الموضوع ليس كذلك ، سمو الأمير». انتظر الأمير خاله ليكمل ، إلا أن حضرة اللورد حافظ على صمته ، فلم يعد دانيال سؤاله.

استمر الصمت دقائق قليلة. فكر دانيال أنه لو أصر على تغيير ملابسه لكان قد وصل الآن غير متأخر. ثم دخل حضرة اللورد ترجسون نوويلز القاعة.

كان حضرة اللورد كهلاً قوي البنيان ، تسبح بضع شعرات رمادية في مقدمة رأسه ومعظم لحيته ، وكان يرتدي سراويل رمادية من الكتان ، ورداءً أسود من فرو السمور مطرزة أكمامه بخيوط الفضة على شكل منحنيات ودوائر ، وحذاءً جلدياً طويلاً يبتلع نهاية سراويله. وكانت تبدو عليه قوة من نوع مخيف ، كانت نظرته من الصعب مجاراتها دون أن تنسحب أولاً ، ووجهه معتاداً على العبوس ، وصوته قاسٍ.

قال حضرة القائد الأعلى للأسطول الملكي عندما قطع نصف المسافة من الباب :«أيها السادة» وتوقف نصف برهة ليهز رأسه -في جهد لانحناءة- ثم دار حول المائدة ليجلس في ثاني كرسي على يمين الملك.

رد اللورد ستيفان :«لورد ترجسون ، لا يبدو عليك عدم الراحة. إنه أول اجتماع شرق وغرب في حياتنا ، والقليل من التوجس متوقع من الجميع».

تنحنح اللورد ترجسون وقال :«لا أرى داعياً ، سيدي اللورد. سنجلس هنا ونتناقش تحت مسمى الاجتماع ، كما نتناقش تحت أي مسمىً آخر».

هز اللورد ستيفان رأسه موافقاً ، وقال :«حسن ما قلت».

بدأ اللوردان يتحدثان عن تكاليف حرب القراصنة في البحر الأسود ، وقبل أن تصل مناوشاتهما للصراخ دخل خادم يحمل مجلداً ضخماً بيديه معاً ، يتبعه آخر يحمل دواةً وريشة كتابة ، وضعاها جميعاً بترتيب على المائدة أمام الكرسي الأخير. وبعد ترقب ، دخل حضرة الجال تيودور متكئاً على عكاز يحمله بيمينه ويضع خادم يداً تحت ذراعه الأيسر ليساعده على المشي. وعندما اقترب من كرسيه ، وقف الجميع وقالوا بصوت متداخل :«صاحب الحكمة». رفع الجال يده اليسرى وأشار لهم بالجلوس ، وكأنه يقول "لا داعي لهذا".

ثم ما لبث أن أعلن الناظر على الباب وصول آخر الوزراء ، ودخل حضرة اللورد وزير الشرق والت ستاجارد ، يرتدي ثياباً عادية ، من الصوف والكتان ، ويجاريه حضرة اللورد أمين النقد ميروين هافهارت.

ألقى اللورد والت التحية قائلاً :«أيها السادة» ثم انحنى أمام الجال تيودور «صاحب الحكمة».

هز سفير النبي رأسه ، ورد اللوردات :«لورد ، والت ، لورد ميروين». بينما جلس اللورد والت ستاجارد على المقعد الأقرب على جهة اليمين ، واتخذ اللورد ميروين المقعد الأخير الشاغر على يمين دانيال. بعد أن رمقه بنظرة متهمة لسرقة الكرسي الأقرب. وبهذا انتهت تحضيرات الاجتماع ، وخرج سائر الخدم من القاعة بعد أن أضيئت المشاعل ، وبخر البهو بالأعواد العطرة وأغلقت النوافذ -في طقوس الاجتماع- ، ولم يبق إلا ساقٍ يقف في زاوية البهو بقرب منضدة طويلة السيقان ، عليها إبريق وكؤوس فضية.

-«جلالة الملك ، جيرارد الثاني سليل عائلة بورجيا ، ملك ويتفورد ، المدافع عن توران ، وحامي الأرض المقدسة».

قطع جلالة الملك القاعة بخطواتٍ واسعة واثقة ، مرتدياً رداءً من الكتان الأسود المطرز بإطارات مذهبة ، وسراويل مماثلة تماماً ، ومعطفاً من فرو الذئب الأبيض. كان جلالته طويل القامة ، ذو شعرٍ أسود لم ينقض عليه الشيب بعد ، وجهه نسخة أكبر سناً من وجه دانيال. وكان معتمراً تاجه الذهبي الضخم ، الذي هو عبارة عن حلقة واسعة من الذهب ، تضم منصة كبيرة ، عليها سبع قطع من البلور اللامع ، الذي يقطِّع نور الشمس إلى أقواس قزح.

رفع دانيال حاجبيه وهو ينظر إلى تاج أبيه ، متذكراً ما ادعاه العجوز إلفياس عن كون البلورات ، هي دموع جيكال -أجزاء الحقيقة كما سماها- ، وهز الفكرة من رأسه بسرعة ، ***من الأفضل أن أتذكر قصص العجائز على ما هي. قصص عجائز.***

وقف جميع الحاضرين بحركة متزامنة ، وحنو ظهورهم انحناءات متشابهة ، وبصوت متداخل رحبوا بالملك «جلالة الملك» و «عمت مساءً جلالتك» و «فلتحفظ الآلهة جلالتك». وعندما جلس على كرسيه ذي الذراعين طويل الظهر ، بسط كفه ليجلسوا مجدداً.

قال جيرارد :«عمتم مساءً أيها السادة ، صاحب الحكمة ، أرجو ألا نكون قد أقلقنا راحة حضرتك بهذا الاجتماع».

رد الجال تيودور :«جلالة الملك ، إنما أرسلني قداسة النبي إلى هنا سفيراً لأخدم جلالتك وأنصحك وقتما شئتَ ، فلتباركك الآلهة».

هز الملك رأسه بابتسامة تعبة ، وكأن وجهه يتمنى أن ينتهي من هذا الأمر بأسرع ما يمكن. شيء ما في نظرته أخبر دانيال بأن الخطب ليس بسيطاً ، وأن الموضوع أكثر خطراً من تمرد اللورد روبار ، ***والآلهة تعلم أن تمرد اللورد روبار خطر بما يكفي***.

أشار اللورد ستيفان للساقي فبدأ يملأ الكؤوس بالنبيذ الأحمر القاتم ، ويقدمها بدءاً بجلالة الملك ودار حول المائدة انتهاء باللورد والت. أخذ الملك رشفة من الخمر الفاخر القادم من "آليدورس" ، ثم نزع تاجه ووضعه وسط المائدة حيث تصل ذراعاه ممتدتين.

قال الملك :«لنبدأ إذاً ، لا فائدة من المماطلة. صاحب الحكمة ، إذا سمحت».

هز الجال تيودور رأسه وبدأ يخطب :«أيها السادة ، ضعوا أيديكم على التاج لو سمحتم ورددوا ورائي». مد دانيال يده ليضعها وسط التاج ، إى يسارها يد اللورد ستيفان ، واضطر اللورد ميروين للوقوف على قدم واحدة لتصل يده إلى يمين يد دانيال. «أقسم أن أعطي النصح الذي أراه صائباً ، بلا خوف أو خجل ، أو تطلع إلى فائدة شخصية ، أو خشية من ضرر شخصي ، أقسم على ألا أخرج من قاعة الاجتماع ، أو أفكر في شيء خارج أبوابها ، من عائلة أو تجارة أو منصب ، حتى نصل إلى حل مناسب لمحنتنا. أقسم على ألا أعارض ما يقضيه الاجتماع ، وأن أساهم في تحقيق ما يقرره بكل ما أستطيع».

رفع دانيال يده عندما رأى البقية يفعلون ذلك اقداءً بالجال ، وفكر كيف عليه ألا يفكر في الخارج ، يقول الماجستر برنار أن في كتاب ما توثيق لأطول اجتماع للشرق والغرب ، في عهد ملك ما لِويتفورد منذ قرابة المائتي عام ، دام أسبوعاً ونصف. وثقه أحد الجالات ، وبين السطور التي تقص صراخ الوزراء بآرائهم وشتائمهم على بعضهم البعض ، سطور تتحدث عن دخول الخدم بوجبات العشاء ، أو إخراجهم لدلاء المراحيض الممتلئة ، أو ذهاب الملك للنوم غاضباً. لكن ذلك ليس مما يريد دانيال التفكير به الآن.

أكمل الجال تيودور :«يبدأ في الساعة الأولى بعد مغيب شمس اليوم السابع من الشهر العاشر من السنة الخمسمائة وثمانية عشر بعد وفاة جيكال المبارك ، اجتماع الشرق والغرب التاسع عشر ، تحت حكم جلالة الملك جيرارد الثاني سليل عائلة بورجيا حفظته الآلهة ، الذي دعا إليه بأمر طارئ منه ، يوثقه الجال تيودور ، سفير قداسة النبي "سيجريار" حفظته الآلهة ومدت في عمره ، وبحضور السادة ، حضرة اللورد وزير الغرب ستيفان سليل عائلة بورجيا ، حضرة اللورد وزير الشرق والت سليل عائلة ستاجارد ، سمو الأمير دانيال الخامس عشر سليل عائلة بورجيا ، حضرة اللورد ترجسون سليل عائلة نوويلز ، حضرة اللورد ميروين سليل عائلة هافهارت ، فلتحفظ الآلهة جميعهم ، ولتوفقهم إلى الرأي الذي لا شك في إتيانه بحل محنتنا. جلالة الملك ، أيها السادة».

بدأ الملك الكلام ، وبدأ الجال تيودور يسجل كل كلمة تقال ؛ لعل الرجل عجوز ، لكن عينيه لم تخذلاه ، ويداه لا ترتجفان البتة ، بل خطه المنمق ينافس كبير حرفة الخطاطين في توران «الشكر لحكمتك ، أيها السادة ، لقد دعوت لاجتماع الشرق والغرب ، لأعلمكم بآخر التداعيات التي تخص مؤامرة فورغايتس» ، لم تبد المفاجأة على وزيري الشرق والغرب ، ولكن اللورد ميروين رفع حاجبه باستنكار ، وأطلق اللورد ترجسون صوتاً من حنجرته ينم عن الغضب الممزوج بالقرف. أطبق دانيال فكه بعد أن أدرك أن فمه مفتوح هو الآخر. «أجل أيها السادة ، لقد وصلتنا أنباء من كالغورا -عاصمة فورغايتس- تؤكد أن ليونيل باكوس ليس ملتزماً بالهدنة ، بل إنه يخطط على أخذ قضمة أكبر من المعتاد. لورد ستيفان ، إذا سمحت».

-«تحت أمر جلالتك ، أيها السادة ، كما قال جلالة الملك. إن لدي بعض المخبرين في كالغورا ، وآخر تقرير وصل اليوم ، يؤكد أن الملك باكوس يحيك خطة ليتعدى على أرض ويتفوردية. ليس أي أرض أيها السادة ، ليس إلا الأرض المقدسة».

شهق اللورد هافهارت ، وقال الجال تيودور :«فلترحمنا الآلهة». وتشنج فم اللورد ستاجارد ، وأطلق اللورد نوويلز شتيمة تليق بعامل اسطبل.

«أيها السادة» ، أردف اللورد والت ستاجارد «لا أظن أن هنالك داعياً للقلق. عذراً جلالة الملك ، لكن طموح الملك باكوس لم يكن مصدر خطر حقيقي على وحدة ويتفورد ، لم عساه يكون الآن».

كان اللورد ستيفان هو من أجاب :«سيدي اللورد ، لم أنته بعد من سرد المشكلة ، لو كان الملك باكوس هو مصدر القلق الوحيد ، لأمر جلالته بتشكيل كتيبة للتصدي لجيش فورغايتس...».

قاطعه الجال تيودور قائلاً :«ليس هنالك داعٍ للتصدي حضرة اللورد ، إن تعداد حراس المعبد يزيد عن أربعين ألف جندي ، وألف وخمسمائة فارس ، وأظن أن باستطاعتهم حماية الأرض المقدسة من أي خطر احتلال».

كشر اللورد والت ، وأكمل اللورد ستيفان :«المشكلة يا صاحب الحكمة ، أنه إذا كانت الأنباء صحيحة ، فعلينا نحن أن نقلق بشأن حراس المعبد».

قال اللورد ترجسون :«هل تظن أن ليونيل باكوس اشترى حراس المعبد ، بأي طريقة...».

قاطع الجال تيودور مجدداً «لا أشك للحظة بولاء حراس المعبد أيها السادة ، أيا كان ما تظنون ، فولاؤهم».

رفع الملك صوته ، وإن حافظ على كرامة الجال ، وقال :«أيها السادة! هلّا استمعتم إلى التقرير كاملاً ، لا زال لدينا بعض الوقت قبل أن نخوض في الجدال ، والآلهة تعلم أننا سنبقى هنا حتى ينفد من عندنا ما نقوله. لورد ستيفان ، هلّا قرأت رسالة مخبرك ، بالحرق كما أرسلها إليك».

لوهلة ملأ التوتر هواء القاعة ، حتى أخرج حضرة اللورد وزير الغرب رقّا من جيبه ، وفتحه على الطاولة ليراه الجميع. الرسالة لا تحوي ختماً بالطبع ، ويبدو أنها كانت مطوية بعناية عدة طيات ليصغر حجمها بقدر الإمكان. تنحنح اللورد قبل أن يتلو.

«من خادم حضرتكم ؛ الساقي.

سيدي اللورد ، أرسل إليك الرسالة مع رجل موثوق ، ولا أقدر إلا أن أطمع بأنك ستكرمه. لقد حدثت أشياء مؤخراً ولم أستطع أن أرسل أنباء عنها ، ولكن آخر الأحداث أمر لا يمكنني ألا أعلم حضرتك به.

لقد عرض جلالة الملك منذ شهر -من كتابتي هذه الرسالة- خارطة جديدة لأراضي جنوب فورغايتس ، واستطعت أن أفهم أن الخارطة تضم أراضٍ تتبع لسويو وبعضها يتبع لرودنبول ، ولكن الأهم أن جلالة الملك يعتبر الآن أن الأرض المقدسة تتبع لحكمه ، وقد عرض على اللورد ثومن أوكفيل سيادة الأراضي وحمايتها عند غزوها.

جلالة الملك لم يأمر بتجهيز جيش للغزو حتى اليوم. ولكن اليوم ، استقبل جلالته ضيفاً ، مبعوثاً من الأرض المقدسة ، وحسبما فهمت فللرجل منصب سياسي في المعبد ، وقد دار بينهما اجتماع طويل ، وقد وصلني أن الحديث الذي خاضاه يدور حول تجهيز جيش ووضعه تحت سلطة الرجل -مبعوث الأرض المقدسة- ، وقد أمر جلالة الملك بإرسال الجنود إلى الأرض المقدسة من فوره.

الجال الذي أتى ضيفاً سيبقى في كالغورا عدة أيام ، وسأرسل لحضرتكم بأي معلومات جديدة أضع يدَي عليها. فلتحفظ الآلهة حضرتكم.

خادمكم الوفي ؛ الساقي».

غلغل دانيال أصابع في شعره ، وهو يراقب ردود فعل الحاضرين. يبدو أن جلالة الملك هو الوحيد الذي كان يعلم محتوى الرسالة. ولو علم اللورد والت موضوعها. ***لا بد أن حرباً ضروساً ستقوم ، ولتحفظنا الآلهة***.

قطع اللورد والت الصمت قائلاً :«وماذا ننتظر؟ الرجل يشكل جيشه ، ويحلم بتوسيع مملكته. وإذا كان المعبد سيقود ذلك الجيش ، فلنا أن نتوقع أن حراس المعبد سيقاتلون لجانب *السربيكي*. ما الذي ننتظره ، لندع راياتنا».

هز اللورد نوويلز رأسه موافقاً ، ورفع اللورد ستيفان يده معترضاً وقال :«لن ينفعنا هذا ، أن نعلن الحرب على المعبد سيجعلنا أعداء للجميع ، وسيفتح هذا علينا الحرب من أربع جهات».

عقب الجال تيودور :«كما سيجعلنا مكروهين في أعين الآلهة أيها السادة».

رفع اللورد والت عقيرته «إذاً ، نجلس ونصلي ألا يقطع باكوس بشراهة؟ صاحب الحكمة ، لا أدعي المعرفة ، ولكن الآلهة تكره ناقضي العهد أكثر بمرة ونصف من حاملي السلاح بوجه المعبد».

قال الملك :«مع ذلك ، لا يمكننا أن نتكلف على حرب طويلة أخرى ، والآلهة وحدها تعلم من سيهاجمنا أولاً إذا ادعى رؤوس المعبد بأننا اعتدينا على حرمة المقدسات ، ولا أشك بأنهم سيفعلون. قد نكون ربحنا حرباً طويلة على جبهتين في الماضي سيدي اللورد ، ولكن المعبد كان في صفنا في ذلك الحين ، وهو ما صنع الفرق منذ عشرين سنة».

قال اللورد ميروين :«هل سينجح التفاوض في فض هذا الخلاف أيها السادة؟ قد أستطيع أن أذهب إلى كالغورا ممثلاً عن ويتفورد... ، أو أفضل ، إلى الأرض المقدسة ، ويمكننا...».

قاطعه دانيال قائلاً :«عذراً أيها السادة ، لكنني أظن أنكم تفوتون شيئاً مهماً». رفع الملك حاجبيه وأصغى باهتمام ، ليس من عادة دانيال أن يخوض في مجلس الملك بحماس ، رمقه الجميع بنظرة مترقبة. «أليس من الغريب أن يتزامن غزو فورغايتس مع تمر روبار كونواي؟ الرجلان من العرق السربيكي ، وكلاهما يبكي أطلال المملكة السربيكية القديمة».

أجاب اللورد ستيفان :«حسن ما قلت سمو الأمير ، الأمر يبدو مثيراً للريبة بالفعل ، لعل اللورد كونواي مشترك في هذه المؤامرة بالفعل».

قال اللورد والت :«لا أرى قيمة كبيرة لاستنتاج كهذا ، روبار كونواي أعلن تمرده على الملأ ، وعرض نفسه لحرب ستنتهي بإنهاء تمرده ، والملك باكوس أعلن غزوه ، وعرض نفسه لحرب ستنتهي بدحر قوته. وسواءً اشتركا في الأمر أم لم يفعلا ، فسنتعامل مع كليهما بالقوة ذاتها».

قال اللورد ترجسون :«سيدي اللورد ، عندما يخطط الاثنان لتوجيه ضربات مدروسة من كلي الطرفين ، سيتضح الفرق جيداً». هز الملك رأسه موافقاً. وحتى دانيال رأى أن كلام اللورد ترجسون صحيح ، عندما يقود رأس واحد كلي الحربين ، فسيعلم كيف يستغل ضعفنا ، وسيعلم من أي الجهتين عليه أن ينقض.

لكن اللورد والت استهجن قائلاً :«روبار كونواي يدعو نفسه ملكاً ، ويحلم بأن يحكم الأرض التي حكمها السربيكيون قديماً ، كيف للملك باكوس أن يقبل بهذا. إن هدفهما واحد ، لكن طريقيهما متضاربين».

قال الملك :«لهذا علينا أن ننفد من تمرد روبار كونواي بسرعة ، يجب أن يهزم الرجل قبل أن يعطى فرصة ليسيطر على الأرض».

قال اللورد ميروين :«إن الرجل يقود خمسين ألفاً من الجنود على الأرض ، هذا عدد هائل. كيف لنا أن نخمد تمرده بسرعة ، أكره أن أقول هذا لكن الرجل لديه فرصة في النجاح بلا شك».

رد اللورد ستيفان :«اللورد روبار لا يقود خمسين ألفاً. بل ابنه السير مارث هو من يقودهم ، بينما يجلس والده خلف أسوار سيفارا ، وحسبما نسمع ، فالسير مارث ليس ينوي أن يوجه ضربة واحدة بعد ، لا يزال الجيش يحمي حصاد أراضي اللورد روبار ، وينقل القمح والشعير وسواهما إلى مخازن سيفارا».

قال اللورد والت :«مما يعني أننا تأخرنا بالفعل على حصار القلعة ، كان يجب أن يخرج السير مارث ليرى حقول قمحه محترقة ، والآن لا سبيل لتجويع سيفارا».

قال الملك جيرارد :«لقد ناقشنا هذه الأمور بالفعل أيها السادة ، هلا بقيتم في موضوع الاجتماع الأساسي ، وهو حماية الأرض المقدسة من الخروج عن سلطة ويتفورد».

استمر الخلاف على السبيل الأمثل للتعامل مع الغزو الفورغايتي ، أصر اللورد والت واللورد ترجسون على جمع الرايات والركوب إلى الحرب ، مقدمين حججاً وخططاً تحول دون تحويل الحرب مع فورغايتس إلى حرب مع هانس و آليدورس ، وغالباً دين. ووجد اللورد ستيفان ثغرة في تلك الحجج والخطط. ووجد الجال تيودور دائماً سبباً لجلب لعنة الآلهة في أي حركة ضد المعبد قدمها أي الطرفين. ووجد اللورد ميروين نفسه يوافق ذلك الطرف حيناً وذاك حيناً آخر. ووجد الملك نفسه يحاول تهدئة صراخ الحاضرين كل مدة. أما دانيال فوجد نفسه مستنداً على بطن كفه بملل ، ويحاول أن يفهم ثلث ما يقال. وفُتح موضوع تمرد اللورد روبار مرات عديدة ، وتحيدوا إلى مواضيع أخرى منها حرب استئناف حرب القراصنة حتى النفاذ من التمرد والحرب مع فورغايتس -بل واقترح ميروين هافهارت عرض الاستعانة بالقراصنة مقابل إيقاف الحرب عليهم نهائياً ، الذي رفضه الجميع طبعاً- ، وتذمر اللورد ستيفان من ضعف التجارة مع آليدورس. واقترح والت التحالف مع دين للقضاء على فورغايتس نهائياً.

الاقتراح الأخير سخر منه اللورد ستيفان قائلاً :«إن قوة فورغايتس ليست على الإطلاق قوة عسكرية لورد والت ، وأنت تعلم هذا أكثر مما أعلمه. ولسنا بحاجة لتحالف لو كان الأمر ببساطة إطلاق حملة واسعة ، في مثل تلك الحالة ستعود أراضي فورغايتس إلى ويتفورد كما كانت أصلاً. ولكن قوتها تنجم من تحالفاتها القوية مع الجميع -ليس معنا بكل تأكيد- ، ولكن جرب أن تعل الحرب على فورغايتس وسترى أن جنود دين سيسبقون الفورغايتيين لردعنا ، وسترى أساطيل دين من نافذة حجرتك سيدي اللورد». عد اللورد والت هذا التعليق إهانة لشخصه وطالب باعتذار. وهدأ الملك جيرارد الوضع مجدداً ، واعتذر اللورد ستيفان «لم أكن أقصد إساءة احترامي سيدي اللورد».

ثم دار الحديث عن سيفارا مجدداً بعد ما يكاد دانيال يقسم أنها خمس ساعات ، ولم تكن النوافذ المغلقة لتساعد على تقدير الوقت ، لكنك لم تكن بحاجة لتلميح لتعلم أن وقت النوم قد أتى منذ ساعات.

أعلن الملك :«لن نتوصل لشيءٍ إذا درنا في دوائر أيها السادة». ثم تثاءب واضعاً ظهر كفه على فمه المفتوح ، وبدا بين المتفاجئ والخجل ، ثم أكمل بعد برهة :«الآلهة تعلم أنني أريد أن أنتهي من هذا بأسرع ما يمكن. فلنصوت على الاقتراح التالي أياً كان ، ولنرى إن كان سيحظى بالقبول».

بدأ الجميع بالكلام معاً ، لكن اللورد ستيفان رفع صوته قائلاً :«هل تسمح لي جلالة الملك؟».

«بالتأكيد» تمكن الملك من القول وهو يتثاءب مجدداً ، معدياً دانيال.

بعد ذلك انفرد اللورد ستيفان بالكلام بادئاً :«لدي حل يرضي جلالة الملك ، وإذا كانت الآلهة جيدة ، فسينهي هذا الحرب قبل أن تبدأ. أيها السادة إنني لا أشك في رأي صاحب الحكمة الجال تيودور ، إن حراس المعبد مقسمون على قبور الآلهة ، ليقدموا سيوفهم وحيواتهم للمعبد ، وليس لأي أحد آخر ، لا فرق عند أولئك الجنود المباركون بين سربيكيٍّ و أرفيكيّ». هز الجال تيودور رأسه موافقاً ، ونظرة الرضا تملأ وجهه الناعس. «وكان المعبد ولا زال تحت سلطة وحماية ويتفورد ، وملكها. وسنراهن على هذا. لا شك عندي أن الجال الذي قابل الملك باكوس تآمر معه بلا علم من قداسة النبي».

تحمس الجال تيودور وقال بصوت عالٍ :«نقض العهد ليس من شيم الأنبياء». ونسي أن يقول أنه ليس من شيم الجالات أيضاً.

«أشكرك صاحب الحكمة. وإذا عملنا على هذا الأساس فقد نجد فضول قداسة النبي ليجد الجال المسؤول عن خيانة كتلك من صالح الجميع ، أقول أن نسلم لقرار قداسته بهذا الشأن».

علق اللورد والت :«لم أعهدك متديناً سيدي اللورد. وماذا إذا كان لقاء الجال مع الملك باكوس بأمر من قداسة النبي؟».

ترك اللورد ستيفان الجال تيودور يجيب :«أرفض أن أصدق أن قداسته مشترك في مؤامرة كتلك ، هذا الاتهام يلوث الكرامة ، ويجلب لعنة الآلهة».

قال اللورد ستيفان :«لا شك في هذا صاحب الحكمة. أظن أن القليل من التدين لن يضر سيدي اللورد. أظن أن قداسته سيتعاون معنا على إيجاد هذا الخائن جلالة الملك. ولا شك في أن مؤامرة كتلك تستحق محاكمة قاسية ، وإذا ثبتت خيانة الجال ، فأظن من العدل أن يتم إعدامه». هز الجال تيودور برأسه موافقاً ، وإن ملأت الشفقة وجهه.

قال اللورد ميروين :«محاكمة! نعم».

بدا الاهتمام بوضوح على وجه الملك جيرارد واختفت آثار النعس من وجه اللوردين ميروين و ترجسون ، حتى اللورد والت صمت وأنصت ولو كان وجهه مكشرا.

-«نعم لورد ميروين. محاكمة. محاكمة ضخمة استعراضية ، وبحضور رؤوس المعبد الثلاثة ، سيكون الهدف معرفة الحقيقة بالطبع ، وستكون فرصة لتجديد العهود ، سيقسم الجالات الرؤوس على الولاء للأرض المقدسة والمملكة ، وسيكون إعلاناً جيداً لباكوس أن جند المعبد سيناضلونه دفاعاً عن وحدة ويتفورد وأمان الأرض المقدسة».

قال الملك :«عظيم بالفعل ، سيوفر هذا الكثير ، وسيحافظ على هيبة المملكة». وأضاف مبتسماً :«تجعلك بساطة الأمر تشك في إمكانية تحقيقه. لكنني لا أرى طريقة أسلم من هذا. لورد والت؟».

قال حضرة اللورد وزير الشرق :«لا بأس ، نعم. ولكن ماذا إذا رفض قداسة النبي مساعدتنا؟ ماذا إذا لم نستطع إقناع المعبد بالانضمام إلينا؟».

«عندها ، سيدي اللورد» ، أجاب اللورد ستيفان «سأركب معك في طليعة الجيش ، وسنحرق فورغايتس لتصل النار إلى السماء».

هز اللورد والت رأسه راضياً ، وقال الملك :«حسناً ، هذا يدع تمرد اللورد روبار فقط لنقلق بشأنه».

قال اللورد ستيفان :«هل يسمح لي جلالة الملك». هز الملك رأسه واستطرد الوزير «أرجو من جلالتك أن تكلفني بإنهاء التمرد».

سأل اللورد ترجسون :«وكيف تنوي فعل ذلك سيدي اللورد؟».

قال اللورد ستيفان :«باختصار شديد سأحرك اللورد فيليس -أخو زوجتي- وقوته ضده ، وأكسب ثقة اللورد روبار ، وأعرض عليه العودة في سلام الملك وسيقبل».

نظر الملك إليه بشك ، ورفع الجال تيودور رأسه من مجلده ليرمق اللورد بنظرة متهمة وقال :«الأمر ليس بسيطاً سيدي اللورد ، سيموت العديد ، واعذر قولي لكنك لا تتمتع بحس القيادة العسكرية الذي يتمتع به اللورد والت أو اللورد ترجسون».

وافقه اللوردان المذكوران بهزة من رأسيهما ، لكن اللورد ستيفان أكمل قائلاً :«لهذا أطلب من حضرة اللورد ترجسون أن يرافقني. بينما أقترح على جلالة الملك أن يرسل اللورد والت إلى الأرض المقدسة ليباشر بالخطة».

قال الملك :«لنصوت أيها السادة ، من يوافق على اقتراح اللورد بورجيا فليضع يده على التاج».

وضع اللورد ستيفان بورجيا يده على التاج بثقة ، وبعد تردد تبعه اللورد ترجسون نوويلز. وجد اللورد ميروين الثقة ليتبع اللورد نوويلز ، وأعلن الجال :«أنا هنا لأنصح وأوثق ، ولن أوافق أو أرفض اقتراحاً حتى لو جاء مني أيها السادة».

نظر اللورد والت إلى الملك الذي لم يحرك ساكناً ، ورمق دانيال بنظرة متسائلة ، ووجد دانيال كافة العيون واقعة عليه ، ففكر قليلاً ، ثم جرع ثمالة النبيذ التي تبقت في كأسه الفضية ، ووضع يده على ما دعاها إلفياس نوركن أجزاء الحقيقة.

\* \* \*